﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: 136]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لـمَّا أخبر أنَّهم فاجَؤُوا النَّكْثَ وكرَّروه، سبَّبَ عنه قَوْلَه: ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾، أي: انتقامًا ليس كذلك الذي كنَّا نؤذيهم به، بل انتقامَ إهلاكٍ، عبرةً واتِّعاظًا[1].

العَلاقةُ بين النّكْثِ بعدَ انْكِشافِ الرّجزِ، والعقوبةِ الأليمةِ بالإغراقِ في اليمِّ

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَٱنتَقَمۡنَا﴾: تقدَّم شرحُ معنى هذه اللَّفظةِ عند الحديث عن لفظة ﴿تَنقِمُ﴾ مِنَ الآية [126]، وخلاصة معناها: أنَّ معنى (نَقَمْتُ): أنكرتُ الفعلَ، والنِّقْمَةُ: مِنَ العذاب والانتقام، كأنَّه أنْكَر عليه فعاقَبَه[2]، والانتقام: هو العقوبة الشَّديدة الشَّبيهة بالنَّقْم، وهو غضبُ الحِنْق على ذنبِ اعتداءٍ على المُنتَقِم، يُنْكَر فاعِلُه ويُكْره[3].

2) ﴿فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ﴾: (الغين، والرَّاء، والقاف) أصلٌ واحدٌ صحيحٌ، يدلُّ على انتهاء في شيء يبلغ أقصاه، مِن ذلك الغَرْقُ في الماء[4]، فرجلٌ غَرِقٌ وغَريقٌ: رَسَبَ في الماء، وابتُلِيَ بالدَّين والبَلْوى؛ تشبيهًا به. والتَّغريقُ: القتلُ[5]، والغَرِقُ: الذي قد غلبَهُ الماءُ[6]، وقيل: الغَرِق: الرَّاسب في الماء، والغريق: المَيِّتُ فيه[7]، والإغراق: الإلقاء في الماء

(1) البقاعيُّ، نظم الدُّرر: 3/91.
(2) الخليل، العين، وابن فارس، المقاييس: (نقم).
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 9/74.
(4) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (غرق).
(5) الخليل، العين، والرّاغب، المفردات: (غرق).
(6) الأزهريُّ، تهذيب اللُّغة: (غرق).
(7) ابن سيده، المحكم: (غرق).

المُسْتَبْحِر، الذي يغمُرُ المُلْقَى فيه، فلا يَترك له تنفُّسًا[1]. وكلُّ ما جاء في القرآن مِنَ التَّركيب هو مِنَ الغَرَق في الماء، عدا ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ۝١﴾ [النازعات: 1][2].

3) ﴿ٱلۡيَمِّ﴾: اليَمُّ: البَحْرُ الّذي لا يُدْرَكُ قَعْرُهُ، ولا شَطّاهُ، وَيُقَال: اليَمُّ: لُجَّتُه[3]، ولم يَرتضِ الأزهريُّ قولَ الخليل مِن أنَّ اليَمَّ: ما لا يُدْرَكُ شطّاهُ، مُستَدِلًّا بقوله تعالى في قصَّة أُمِّ موسى عليه السلام: ﴿فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾ [طه: 39]؛ إذ جعل لَهُ ساحلًا؛ وذهب إلى أنَّه: البَحر، وأنَّ اسم (اليَمّ) يَقَعُ على ما كان مَاؤُهُ مِلْحًا زُعافًا، وعلى النَّهر الكبير العَذْبِ الماء. وأصله بالسُّريانيَّة: (يَمًا)، وعرَّبتْهُ العَرَبُ[4]، وذهب الزَّمخشريُّ إلى أنَّه عربيٌّ، واشتقاقُه مِنَ التَّيمُّم، ومعناه: البحرُ الذي لا يُدرك قَعْرُهُ، أو هو لُجَّة البحر ومعظمُ مائِهِ[5]، أو هو من القِبْطيَّة، أو مِنَ العِبْريَّة، ولعلَّه موجود في هذه اللُّغات، ولعلَّ أصلَه عربيٌّ، وأخذَتْهُ لغاتٌ أُخرى مِنَ العربيَّة. والمراد به هنا: بحرُ القُلْزُم، المُسَمَّى في التَّوراة: بحرَ سُوفٍ، وهو البحر الأحمر، وقد أُطلق (اليَمُّ) على نهر النِّيل في قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ﴾ [طه: 39] وقوله: ﴿فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ﴾ [القصص: 7][6].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يخبر اللّهُ أنَّه لـمَّا كشف عن قومِ فرعونَ العذابَ مرَّات فلم يؤمنوا ولم يرجعوا عن كُفْرهم، فلمَّا بلغوا الأجل الذي أَجَّلَ لهم، انتقمَ منهم بأن أهلكَهم بالغَرَق في بحر لا يُدرَك قَعْرُه؛ بسبب أنَّهم

الانتقامُ مِنَ النّاكثين بإهلاكِهم إغراقًا، وجَزائِهم على تكذيبِهم جَزاءً وِفاقًا

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 9/75.
(2) جبل، المعجم الاشتقاقيُّ: (غرق).
(3) الخليل، العين: (يم).
(4) الأزهريُّ، تهذيب اللُّغة: (يم).
(5) الزَّمخشريُّ، الكشَّاف: 2/148.
(6) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 9/75.

كذَّبوا بآيات الله الدَّالَّة على وحدانيَّته وصِدقِ نبيِّه ورسالتِه، وكانوا عن آيات الله تعالى غافِلِينَ، ومُعْرِضين عمَّا تقتضيه وتستلْزِمُه مِن عذاب الدُّنيا والآخرة، أو غافلين على حلول النِّقمة بهم[1].

ولذلك عاملهم معاملةَ مَن ينتقم ممَّن أعلن الحربَ على الله ورسوله موسى عليه السلام؛ لأنَّه تعالى اختبرهم ثمَّ كشف عنهم ما اختبرهم به؛ رجاءَ أن يتذكَّروا ويعتبروا ويتَّعظوا، فما زادوا إلَّا ظُلمًا، واستكبارًا، وعُتُوًّا، وفسادًا، فليس لهم إلَّا أن يَنزِل بهم العذابُ الأكبر، الذي يكون استئصالًا وإهلاكًا بالغرق؛ وذلك بسبب تكذيبِهم بالآياتِ التي توالتْ لهم آيةً بعد آيةٍ، وغفْلَتِهم عن مغزاها ومعناها، مع أنَّها كانت لهم بمرأى العين والحسِّ، ولكنَّهم غَفَلوا عنها، واستهْواهُم الشَّيطان فَضَلُّوا[2].

وترشدُ الآيةُ الكريمة: إلى أنَّه تعالى لا يُهلك إلَّا بعد أنْ يُقدِّم العِللَ، ويُوجِّه الآيات، وأنَّ ما أصابهم كان عقوبةً وجزاءً على فعلهم، وتَهدي أيضًا إلى قُبْح الاعتراض على آيات الله، ووجوبِ النَّظر والتَّفكُّر وعدمِ الغفلة عن آياته في الرَّخاء والشِّدَّة[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

سِرُّ التَّعْبير عنِ الانتقامِ بصِيغةِ الافتعالِ ﴿فَٱنتَقَمْنَا﴾:

الفاء في: ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ للتَّرتيب، والتَّعْقِيب، والسَّببية. والانتقامُ: افتعالٌ دالٌّ على شدَّة العقوبة، وأصلُ صيغة الافتعال أنْ تكون لمطاوعة فعلِ المتعدِّي، بحيث يكون فاعلُ المطاوعة هو مفعول الفعل المجرَّد، وهو مِن لطيف استعمالات القرآن؛ إذ لم يُسمَع أنْ قالوا: نَقَمَهُ فانتَقَم، أي: أحْفَظَهُ وأغْضَبَهُ فعاقَبَ، فهذه

في الصِّيغة دَلالةٌ على شِدَّةِ العقوبةِ، وهوْلِ مَشهدِ الهلاكِ

(1) الخازن، لباب التَّأويل: 2/242، ومحمد رضا، تفسير المنار: 9/84.
(2) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 6/2939.
(3) القاسميُّ، محاسن التَّأويل: 5/173.

المطاوعة أُميتَ فِعْلُها المجرَّد، وعُدِّيَ إلى المعاقَب بـ (مِن) الابتدائيَّة؛ للدّلالة على أنَّه مَنْشَأُ العقوبة وسببُها، وأنَّه مستوجبُها[1].

سِرُّ قَصْديَّةِ التَّعْبير بالإغراقِ دونَ غيرِه:

بيانٌ للانتقامِ، وتفصيلٌ لِمُجمَلِه بالعطْفِ

الإغراق: الإلقاء في الماء المستَبْحِرِ الذي يغمُر المُلْقى، فلا يترك له تنفُّسًا، وهو بيانٌ للانتقام وتفصيلٌ لمجمله، فالفاء في قوله: ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُمْ﴾ للتَّرتيب الذِّكْريِّ، وهو عطفُ مفَصَّلٍ على مُجْمَلٍ، كما في قوله تعالى: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: 54]، وحَمْلُ الفعلِ المعطوف عليه هنا على معنى العَزم، فيكون المعنى: فأردنا الانتقامَ منهم؛ فأغرقناهم[2].

بَلاغةُ التَّعْبير بالمجازِ المُرسَلِ:

أُطلِقَ اسمُ المسبَّبِ على السَّببِ؛ تنبيهًا بعدَمِ انفكاكِ الانتقامِ عنِ الإرادةِ

وذلك في قوله: ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾؛ إذ أُطلق الفعلَ، والمراد إرادتُه، أي: فأردنا الانتقامَ منهم فأغرقناهم[3]، والفاء في ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُمْ﴾ للتَّعقيب، والسَّببيَّة، وأُريدَ بالانتقام نتيجتُه، وهو الإهلاك؛ لأنَّ التَّشفِّي في حَقِّه تعالى محالٌ.

والانتقامُ: العقابُ الواقع على مجازاة السَّيِّئة بالسَّيِّئة، وإنَّما أُسندَ الانتقام إلى ذاته؛ لأنَّ الأنبياء وكُلَّ الأولياء كانوا فانينَ عمَّا سوى الله، باقينَ بالله، فكان اللهُ خليفتَهم في أخذ الانتقام مِن أعدائهم، والمعنى: فأردنا الانتقامَ منهم، أي: مِن فرعونَ وقومِه لـمَّا وَلَغوا في المعاصي والجرائم، فإنَّ قوله تعالى: ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُمْ﴾ عينُ الانتقام منهم؛ وأُطلِقَ اسمُ المسبَّب على السَّبب، تنبيهًا على أنَّ الانتقام لم ينفكَ عنِ الإرادة، ويجوز أن يكون المراد مطلقَ الانتقام، والفاءُ تفسيريَّةً كما في قوله تعالى: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 9/74.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 9/75.
(3) الإندونيسيُّ، الشَّامل: 1/422.

أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: 54]، ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ﴾ [هود: 45][1]، وعلى كون الإغراق بيانًا للانتقام وتفصيلًا لمُجْمَله، تكون الفاء في قوله: ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُمْ﴾ للتَّرتيب الذِّكْريِّ، وهو عطفُ مفصَّلٍ على مجمَلٍ، بحسب ما مرَّ[2].

دَلالةُ تفريعِ الانتقامِ بالإغراقِ، في: ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾:

تَفريعُ النَّتيجةِ على المقدِّماتِ والفَذْلَكَةِ، هو محلُّ العِبرةِ مِنَ القِصَّةِ

قوله تعالى: ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ مُفرَّعٌ على ما تقدَّم مِن أحداث، تفريعَ النَّتيجة على المقدِّمات، والفَذْلَكَةِ على القِصَّة، فإنَّه بعد أن وصف عنادَ فرعونَ ومَلَئِه وتكذيبَهم رسالةَ موسى، واقتراحَهم على موسى أن يجيء بآية، ومشاهدتَهم آيةَ انقلابِ العصا ثعبانًا، وتغييرَ لونِ يده، ورميَهم موسى بالسِّحْر وسُوءِ المقصِد، ومعارضةَ السَّحَرَةِ معجزةَ موسى، وتغلُّبَ موسى عليهم، وكيف أخذ اللهُ آلَ فرعونَ بمصائب جعلها آياتٍ على صِدْق موسى، وكيف كابروا وعاندوا، حتَّى أُلْجِئوا إلى أنْ وعدوا موسى بالإيمان وتسريح بني إسرائيل معه، فلمَّا كَشَف عنهم الرِّجْزَ نَكَثوا، فأخبر اللهُ بأنَّ ذلك تَرتَّبَ عليه استئصالُ المستكبرين المعاندين، وتحريرُ المؤمنين الذين كانوا مستَضعَفين، وذلك محلُّ العِبرة، فلذلك كان الموقعُ في عطفه بالفاء التَّرتيبَ والتَّسبُّب، وقد اتَّبعَ في هذا الختام الأسلوبَ الّذي اختُتِمت به القصصُ الّتي قبل هذه، وفيه تنبيه للسَّامعين إلى الانتقال مِنَ القصَّة إلى العِبرة[3].

سِرُّ العُدولِ عنِ الإطنابِ، إلى الإيجازِ والإجمالِ:

المقامُ هنا مَقامُ الأخْذِ الحاسِمِ، بعدَ الإمهالِ الطَّويلِ

يسوقُ القرآنُ هنا حادثَ إغراقِ فرعونَ ومَلَئِه بصورة مجملة، فلا يُفَصِّل خطواتِه وأحداثَه كما فصَّلها في مواطنَ أُخرى؛ وذلك

(1) الطِّيبيُّ، فتوح الغيب: 6/538، والسُّيوطيُّ، نواهد الأبكار: 3/442، حقِّي، روح البيان: 3/223.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 9/75.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 9/74، 76.

لأنَّ المقام هنا هو مقام الأخذ الحاسم بعد الإمهال الطَّويل، فلا داعيَ إذن إلى طول العرض والتَّفصيل.

والأسلوب الذي جاءت به سورة الأعرفِ من سرعة القضاء أوقعُ في النَّفس، وأرهبُ للحِسِّ، وأزجرُ للقلب، وأدْعَى إلى العِظَة والاعتبار.

نُكْتَةُ اخْتِيارِ لفْظِ ﴿ٱلْيَمِّ﴾، دونَ غيرِه:

اليمُّ: مشتقٌّ - في رأيٍ - مِنَ التيمُّم؛ لأنَّ المُستنفعين به يقصدونه بأنَّهم كذَّبوا بآياتنا، أي: كان إغراقُهم بسبب تكذيبهم بالآيات، وغفلتهم عنها، وقلَّة فكرهم فيها[1]، والتَّعريف فيه للعهد الذِّهنيِّ عند علماء المعاني، المعروفِ بتعريف الجنس عند النُّحاة؛ إذ ليستِ العبرةُ العنايةَ ببحرٍ مخصوصٍ، ولكن بفردٍ من هذا النّوع[2]، وسيأتي بيانُ الفرْقِ بينَه وبينَ البحر.

اليـمُّ مَقصودٌ بوصْفِه بحرًا مخصوصًا، وفيه كان الإغراقُ بالاتّفاقِ

دَلالةُ الباءِ والمصْدرِ في قوله: ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟﴾:

الباء في قوله: ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ باءُ التَّسبيب[3]، أي: كان إغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات، وغفلتهم عنها، وقلَّة فِكْرهم فيها[4]، أو هي للإلصاق المعنويِّ، بإضافة الإغراق إلى الكذب، أي: التصقَ إغراقُهُم بكَذِبهم، فهو إلصاقٌ مجازيٌّ، و(أنَّ) حرف مصدريٌّ، وانسبكَ مع فعله الماضي ﴿كَذَّبُوا۟﴾؛ ليكون أقوى في الدّلالة على كَذِبهم مِنَ المصدر الصَّريح، أو إفرادِ الكذب، وعَبَّر عنِ (الآيات) التّي هي المعجزاتُ بالجمع لتَعدُّدها، ونَسَبَها إلى ضمير العَظَمَة تصريحًا، بنسبتها إليه وحدَه، فهو سبحانَه مُرسلُها ومُظهرُها على يد موسى عليه السلام.

التّكذيبُ بآياتِ اللهِ تعالى، رفضٌ للمنهج، ونأيٌ عنِ الهدايةِ والرّشادِ

(1) الزَّمخشريُّ، الكشَّاف: 2/148.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 9/75.
(3) ابن عطيَّة، المحرَّر الوجيز: 2/446.
(4) النَّسفي، مدارك التَّنزيل: 1/599.

نُكْتَة التَّعْبِير بالجُملتَيْن: الاسميَّةِ والفعليَّةِ:

ثـبـاتُ إعْـراضِ فـرعـونَ وآلِـه، وتَجَدُّدُ تكْذيبِهم بـالـوحْـيِ والمعجزاتِ

وقد صِيغَ الإخبار عن إعراضهم ونَكْثِهم في الآية الكريمة السَّابقة بصيغة الجُملة الاسميَّة: ﴿إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾؛ للدّلالة على أنَّ هذا الإعراضَ ثابتٌ لهم، وراسخٌ فيهم، وأنَّه هو علَّة التَّكذيب المصوغُ خبره بصيغة الجُملة الفعليَّة - في هذه الآية - لإفادة تَجدُّده عند تَجدُّد الآيات[1]، وناسبَ ذلك إردافُها بالجملة الفعليَّة المؤكِّدَة: ﴿وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾؛ لتجدُّد تكذيبهم برسوخ إعراضهم واستمراره.

دَلالةُ عَوْدِ الضَّميرِ في ﴿عَنْهَا﴾، إلى الآياتِ المُدرَجاتِ في السِّياقِ:

الغَـفْـلـةُ الـتّـي بـمـعـنَـى الإعـراض، هي سَببُ التَّكذيبِ والانْتقاضِ

الظَّاهر عَوْدُ الضَّمير في ﴿عَنْهَا﴾ إلى الآيات، أي: غَفَلوا عمَّا تضمَّنته الآياتُ مِنَ الهدى والنَّجاة وما فكَّروا فيها، وتلك الغفلة هي سبب التَّكذيب، وقيل: يعود الضَّمير على النِّقمة الدَّالِّ عليها: ﴿فَٱنتَقَمْنَا﴾، أي: كانوا عنِ النِّقمة وحلولِها بهم غافلين، والغفلة في القول الأوَّل: عُنِيَ به الإعراضُ عنِ الآيات وعدمُ الالتفات إليها؛ لأنَّ الغفلةَ عنه والتَّكذيبَ لا يجتمعانِ، مِن حيثُ إنَّ الغفلة تستدعي عدمَ الشُّعور بالشَّيء، والتَّكذيبَ به يستدعي معرفتَه، ولأنَّه لو أُريدَ صفةُ الغفلة لكانوا معذورين؛ لأنَّ تلك ليست باختيار العبد[2].

بَراعةُ التَّعْبِير بلفظِ ﴿غَٰفِلِينَ﴾، على طريقِ المجازِ:

الـدّلالـةُ على الإعـراضِ عـنِ التَّفكّرِ عـمْـدًا، والـغـايـةُ الـتَّـعـريـضُ بمُشركي العربِ

وَوَصْفُ الكُفَّار بالغفلة - وهم قد كَذَّبوا وردُّوا في صدر الآيات - مِن حيث إنَّهم غَفَلوا عمَّا تتضمَّنُه الآياتُ مِنَ الهدى والنَّجاة[3]، والغفلة: ذُهول الذِّهْن عن تَذَكُّر شيءٍ، وأُريدَ بها هنا التَّغافلُ عن عَمْدٍ، وهو الإعراض عنِ التَّفكُّر في الآيات، وإبانةُ النَّظر في دلالتها على صِدق موسى.

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 9/76.
(2) أبو حيَّان، البحر المحيط: 4/375.
(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/446.

وإطلاق الغفلة على هذا مجاز[1]، يعني: أنَّ الغفلة مجازٌ عن عدم الفِكْر، وعن غير المبالاة؛ إذ المكذِّبُ بأمرٍ لا يكون غافلًا عنه لتنافيهما، وفيه إشارة إلى أنَّ مَن شاهد مثلَها لا ينبغي له أن يُكَذِّب بها مع علمه بها[2]، وفي ذلك تعريضٌ بمشركي العرب، في إعراضهم عنِ التَّفكر في صدق الرَّسول ﷺ، ودلالةِ معجزةِ القرآن؛ فلذلك أُعيدَ التَّصريحُ بتسبُّب إعراضِهم في غرقهم، مع استفادته مِنَ التَّفريع بالفاء، في قوله: ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ﴾؛ تنبيهًا للسَّامعين، للانتقال مِنَ القصَّة إلى العِبْرة[3].

عِلَّةُ تقديمِ شِبْهِ الجُملةِ على الخبرِ، والتَّعْبيرُ باسْمِ الفاعلِ ﴿غَٰفِلِينَ﴾:

قَدَّم الجَارَّ والضَّميرَ العائدَ ﴿عَنۡهَا﴾ على الآيات، على خبر (كان) وهو ﴿غَٰفِلِينَ﴾؛ عنايةً بالآيات، لوضوحها وعِظَمِها، فضلًا عن تخصيص التَّكذيب بها، وعبَّر عن غفلتهم بصيغة اسم الفاعل؛ ليَدلَّ على ثُبوت صفة الغفلة فيهم، ودوامِها لدَيهم، وأنَّ شأنها حاصلٌ ثابتٌ مستقِرٌّ، ويُؤكِّدُه التَّعبير بالفعل: ﴿وَكَانُواْ﴾، الدَّالِّ على تَحَقُّق الحَدَث، والصَّوغُ بالجُملة الفعليَّة الدَّالَّة على تجدُّده، واستمراره فيهم.

الآياتُ مَوطنُ عِنايةٍ، وتَخصيصُ التَّكذيبِ بها دليلُ أهمِّيَّتِها وقَداستِها

ودلَّ سبحانَه بقوله: ﴿وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ﴾ على أنَّهم كذَّبوا بغير شُبهة عَرضت لهم، بل: عِنادًا، أي: جِبلَّة وطبعًا؛ ليكون حالُهم بعدَها كحالهم قبلَها، فكأنَّها لم تأتهم أصلًا، فاستحقُّوا الأخذَ؛ لِتَحقُّق علمِهم بأنَّ الآياتِ لا تُفيدُهم[4].

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 9/75.
(2) الشِّهاب، عناية القاضي: 4/357.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 9/76.
(4) البقاعيُّ، نظم الدُّرر: 3/91.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

البَحْرُ واليَمُّ:

اليَمُّ لُجّةُ البحرِ الّـذي لا يُـدْرَكُ قَـعْـرُهُ، وصِفتُه تلاطُمُ الأمواجِ، وهـــمـــا مـن مُفرداتِ القرآنِ

ورد استعمال (البحر) في القرآن الكريم في سياق النِّعمة وفي سياق العذاب، وفي غير ذلك، والغالبُ استعمالُه في سياق النِّعمة، ومن ذلك قولُه تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ [النحل: 14]، وقولُه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ﴾ [الجاثية: 12]، وغيرُهما، وقد يتَّصِفُ البحرُ بالسُّكون، وقد يتَّصِف بالهِياج والاضطراب، بمعنى: أنَّه ليس متَّصِفًا بصفة واحدة تَسِمُهُ بالثَّبات.

وبان في الشَّرح اللُّغويِّ لـ (اليَمّ) بأنَّه: البَحْرُ الّذي لا يُدْرَكُ قَعْرُهُ، أو هو لُجَّتُه، ويقعُ على ما كان ماؤُهُ مِلْحًا زُعافًا، وعلى النَّهر الكبير العَذْب الماء، فاليَمُّ يعني: لُجَّة البحر، وهو بالضَّمِّ: الماء الكثير الذي لا يُرَى طرفاهُ، ولا يُدرَك قَعْرُه، وهو: تَردُّد أمواجه، واخْتلاطُها، وكثرتُها، وتلاطُمُها، وفي الحديث: «مَن ركبَ البَحْرَ إذا ارْتَجَّ، فقد بَرِئَتْ مِنْهُ الذِّمَّة»، وَفي روايةٍ أُخرى: «فَلَا يَلُومن إلا نَفسَه»[1].

وورد لفظُه في بعض معاجم العربيَّة: «إذا الْتَجَّ»، والْتَجَّ الموجُ: إذا عَظُم واختلط، والْتَجَّ البحرُ: تلاطمت أمواجُه، وعظُمَت لُجَّتُه وتموَّج[2].

والقرآنُ الكريمُ يُفسِّرُ بنفسه معنى اللُّجِّيِّ في قوله تعالى: ﴿فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ﴾ [النور: 40]، فاللُّجِّيُّ: الواسع الكبير، العظيمُ اللُّجَّةِ، الكثيرُ الماءِ، العميق الذي يبعُد عمقُه، ويعلوه موجٌ[3] يتبع بعضُه بعضًا، حتَّى كأنَّ بعضَه فوقَ بعضٍ، وهو أخوفُ

(1) ينظر الحديث مع اختلاف في الرواية في: أحمد، المسند، الحديث رقم: (22333)، والبخاري، الأدب المفرد، الحديث رقم: (1194)، والبيهقي شعب الإيمان، الحديث رقم: (4725)، وابن حجر العسقلاني، فتح الباري: 6/103.

(2) الزبيديُّ، تاج العروس: (لجج).

(3) الواحديُّ، التَّفسير الوسيط: 3/322.

ما يكون، إذا توالى مَوجُه وتقارب[1]؛ إذ يركبُ بعضُه بعضًا لشِدَّة تعاقُبِه[2]، وتلاطُم أمواجِه[3].

وبهذا يظهر اتِّصافُ اليَمِّ بالعُمْق، وتَردُّدِ الأمواج، وكَثْرتِها، وتلاطُمِها، وتَمَوُّج مياهِها، وهو يناسب تمامًا العِقابَ إغراقًا، لجمعٍ كبيرٍ مِنَ النَّاس، فالعُمْقُ استيعابٌ لهم، وتلاطُمُ الأمواجِ واصطخابُها عَوْنٌ على ابتلاعهم، في مشهد رُعْبٍ، وإظهارٍ للشِّدَّة، وإلباسٍ في العذاب، فكأنَّها تغوص بهم إلى قَعْرٍ لا خَلَاصَ منه، وتخلطُهم، وتلطمُهم، فلا حَراكَ لهم مِن ثَمَّ، ولا مُقاومة.

وَصْـفُ اليَـمِّ يُناسِبُ العِقابَ إغراقًا وهلاكًا، لِمَـن عُـوقِـبَ بالإغراقِ

ولذلك نجد كلَّ مَواطنِ ورودِ اليمِّ في القرآن قد رافقت مشاهدَ الانتقام والعقابِ إغراقًا، باستثناء مشهدِ الإغراق في سورة البقرة، قوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [البقرة: 50] الذي جمع فيه ذِكْرَ قوم موسى عليه السلام وآلِ فرعونَ؛ إذ عَدَلَ إلى استعمال البحر بدلَ اليمِّ؛ مُراعاةً لهم، وحَيْدةً مِن نسبة العقوبة إليهم، لكونه ممَّا يُعبَّر به عن مواطن النِّعَم والخيرات، والله أعلم.

سِـرّ التَّعْـبير باليَمِّ في حكايةِ أُمِّ موسَى عليه السلام، مع عـدَمِ وجودِ العقوبةِ

عبَّرَ باليَمِّ في حكاية أُمِّ موسى عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾ [طه: 78]، مع عدم وجود العقوبة؛ لأنَّ اليَمَّ يناسبُ الإلقاء في الآية الكريمة؛ لكون تَردُّدِ الأمواج وتَموُّجِها هو الذي يدفع التَّابوت إلى السَّاحل، لا سكونه[4].

ولـمَّا كان الخوف على موسى بإلقائه فيما فيه موتُه لا محالةَ، مِنَ الأمور العجيبة التي أراد الله زيادتَها عجبًا؛ لتكون البُشرى

(1) القرطبيُّ، الجامع لأحكام القرآن: 12/284.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 18/255.
(3) الشَّعراويُّ، تفسير الشَّعراويُّ: 17/10287.
(4) زيدان، الفروق اللُّغوية، ص: 265.

أعظمَ وأفخمَ؛ ناسبَهُ أنْ يكون إلقاؤه فيما اشتدَّ قَعْرُه، واتَّسَع حجْمُه، وتلاطمت أمواجُه؛ لـمَّا كان الأمر كذلك ناسبه ذِكْرُ ﴿ٱلْيَمِّ﴾[1].

وعلى ذلك فإنَّ اليمَّ لم يُستعمَل في القرآن إلَّا في مقام الخوف، أو العذابِ والعقوبةِ، ولم يُستعمَل في مقام النَّجاة، أمَّا البحرُ فعامٌّ، يُستعمَل في مقام الخوف والعقوبة والنِّعم، وذلك مِن خصوصيَّة الاستعمال القُرآنيِّ[2].

نـاسـبَ إلـقـاءَ مـوسَى فـيـما اشـتـدَّ قَـعْـرُهُ، وتـلاطَـمَـتْ أمواجُهُ؛ لتكونَ البُشْرَى أَفْخمَ

(1) سعد، موسوعة الفروق القرآنيَّة: 1/438.

(2) هبيان، من روائع البيان في سور القرآن، ص: 183 - 184.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 14 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-10-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 14 : المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-768-10-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0402725 بتاريخ 2023/12/30م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»